دراســـة مدققة حول مراحـــــل التخريج إجمـــالا

بحث في مادة التخريج

الأستاذ/ عبد الفتاح ايت بلخير
قسم: الحديث
كلية:العلوم الإسلامية
جامعة المدينة العالمية
شاه عليم-ماليزيا
AC222@.mediu.edu.my

خلاصة البحث : هذا البحث يدرس مسألة مراحل التخريج التي مر بها دراسة مدققة، حيث أن علم التخريج مر بمرحلتين إجمال وأربعة مراحل بالتفصيل وكل مرحلة لها اقسام أو أطوار ومؤلفات تميزها عن كل مرحلة.

مفاتيح البحث: مراحل علم التخريج - أطواره - مسلك الصحابة الكرام في هذا العلم - الحث على كتابة السنة

I. المقدمة

مر علم التخريج ودراسة الاسانيد بمراحل . وكل مرحلة لها أطوار متنوعة،حيث يمتاز كل طور بظهور مؤلفات ومصنفات تخدم علم التخريج وكان للصحابة الكرام دور فعال وهآم في تمهيد أرضية هذا العلم المبارك.لكن بعض العلماء يقول مرحلتين اثنتين وبعضهم يقول أربعة مراحل وسوف نرى بحول ما القول الفصل في المسألة.

II. موضوع المقالة

موضوع المقالة :

قال الشيخ الطواري في كتابة: "مذكرة في علم التخريج":
((مر علم التخريج بمرحلتين أساسية وهي :
المرحلة الأولى: "١-٧٣هـ": كتابة السنة: وتنقسم هذه المرحلة إلى قسمين
القسم الأول: في حياته -صلى الله عليه وسلم
فجزء من هذه المرحلة أمر النبي بكتابة المعاهدات والوثائق الوثيقة بين المهاجرين والأنصار، والنصائح والأحكام -كتب النبي كتابًا في الصدقات، وتفصيل أحكام الزكاة-، وطلب منه بعض الصحابة أن يكتب له كأبي شاه.
والقسم الآخر: ما استأذن فيه الصحابة بالكتابة ومن أشهرهم
عبد الله بن عمرو بن العاص وحديثه في "صحيح مسلم" وله صحيفة تسمى الصادقة -
أنس بن مالك: يقال: توفي في ٩٣ هـ، وهو آخر الصحابة موتًا، خدم النبي وعنده - "صحيفة ورثها ابنه ثمامة والصحيفة في "صحيح مسلم
سعد بن عباده، يقال: قتله الجن توفي في طريقه إلى الشام "١٥ هـ" عنده صحيفة في - الترمذي.
سمرة بن جنب "٥٨ هـ" جمع ما عنده من حديث رسول الله، وبعث به إلى ابنه - سليمان، وقد أثنى الإمام محمد بن سيرين على هذه الرسالة فقال:في رسالة سمرة إلى ابنه علم كثير.
علي بن أبي طالب له صحيفة فيها أسنان الإبل، وشيء من الجراحات -.
س: لماذا لم يأمر النبي بكتابة السنة كما أمر بكتابة القرآن؟
لأن القرآن هو الأصل والسنة هي الشرح، وهي بالأقوال والأفعال والتقرير، فهم يعيشون الشرح فلا يحتاج أن يكتب.
القرآن محصور في ستة آلاف آية، يبتدأ بالفاتحة وينتهي بالناس، أمَّا السنة فإنه يشق عليهم أن يحصرون أقواله وأفعاله؛ لذلك لم يأمرهم للمشقة.
لعدم توفر أدوات الكتابة -
سهولة ويسر القرآن، فإنه كان يقرأ في الصلوات الجهرية ٩٠ مرة في الشهر، فكثرة ترددها وسهولتها أي أكثر من ألف مرة في السنة، أي ثلاث وعشرين ألف مرة وعلى مدى البعثة المحمدية.
والقسم الثاني من هذه المرحلة بعد وفاته :
بدأ الصحابة بكتابة السنة -الأحكام الشرعية- **مثل**: الزكاة - الجنايات - القصاص - أحكام الدماء وغيره مما يكثر السؤال عنه، وأرسلها للولاة كوثائق ومراجع للحكم بها في القضاء.
كذلك كتب أبو بكر الصديق في الزكاة، وأرسلها مع أنس بن مالك -رضي الله عنه- إلى نجران.
وكتب عمر إلى عيينه بن فرقد في أذربيجان.
وكتب أيضًا إلى أبي عبيدة في الشام والى قضائه في العراق.
وكتب عبد الله بن الزبير أيام حكمه إلى عتبه بن مسعود وكان قاض له.
وكتبت عائشة إلى معاوية كثيرًا من أحكام الشريعة.
وكانت هذه الكتب الصغيرة نواة للكتب الكبيرة، ككتاب "القضاء" لعلي بن أبي طالب، وكتاب "الفرائض" لزيد بن ثابت، و"التفسير" لابن عباس وغيرها من الكتب.
:"المرحلة الثانية: "٧٠ - ١٢٠
وهي مرحلة جمع المتفرق من السطور ومن الصدور، وهي تشبه مرحلة جمع القرآن.
وكان أول من رغب بجمع السنة في ديوان واحد هو عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-، ولكنه أمتنع حتى لا ينشغل الناس عن القرآن.
وهذه المرحلة على قسمين -
جهود رسمية.
جهود فردية.
أولا: الجهود الرسمية:
تتمثل هذه المرحلة بأوامر عمر بن عبد العزيز -رضي الله عنه-، وهي ما بين عام " ٨٦هـ - إلى ٩٣ هـ"، حيث أصدر الأوامر بجمع أحاديث رسول الله، فكتب إلى قاضيه في المدينة، وكتب إلى الإمام الزهري بشكل رسمي -أن أكتب لي وأجمع-، فعن بن شهاب الزهري قال: أمرنا عمر بن عبد العزيز بجمع السنن، فكتبناها دفترًا دفترًا، فبعث إلى كل أرض له عليها سلطان دفترًا وكان قبل ذلك الجهد، جهد عبد العزيز بن مروان بن الحكم، فكتب إلى كثير بن مرة الحضرمي أن أكتب إلينا بما سمعت من الصحابة إلا حديث أبي هريرة فإنه عندنا، وأخرج البخاري في "صحيحه" عن عبد الله بن دينار قال: كتب عمر بن عبد العزيز إلى أبي بكر بن حزم: انظر ما كان من حديث رسول الله فاكتبه، فإني خفت دروس العلم وذهاب العلماء... إلخ
وطلب عمر بن عبد العزيز كذلك من سالم بن عبد الله بن عمر: يا سالم اكتب لنا أحكام الزكاة والجباية برواية جدي عمر بن الخطب.
ثانيًا: الجهود الفردية:
ووجدت جهود فردية علمية من أجل جمع الحديث النبوي ومنها :
سليمان بن قيس اليشكري ٨٠ هـ لازم جابر بن عبد الله في البصرة، وكتب صحيفة حتى اشتهرت بصحيفة جابر ونقلها لتلاميذه، فكان ممن حدث عنه الحسن البصري، مجاهد بن جبر، ومعمر بن الراشد، وقتادة السدوسي.
عروة بن الزبير أخو عبد الله بن الزبير وولد أسماء بنت أبي بكر، أخذ الحديث عن عائشة وألف كتاب "المغازي"، ونقل هذا العلم الليث بن سعد إلى مصر، وتتلمذ على يديه ٣٠٠ تلميذ وشيخ.
محمد بن الحنفية بن علي بن أبي طالب ينسب لأمه، وعبد الله بن محمد بن عقيل بن أبي طالب ومحمد بن علي بن أبي طالب، فهؤلاء كانوا يطلبون العلم ويقيدونه.
سعيد بن جبير ت ٩٥ هـ رحل، وجمع الحديث النبوي ولازم ابن عباس، قال -رضي الله عنه-: ربما كنت عند ابن عباس وكتبت صحيفة.
كريب مولى ابن عباس ٩٨ هـ كتب عن ابن عباس، وغيره حمل بعير وعن صحابة " رسول الله، ووضعها عند موسى بن عقبة.
عامر الشعبي ت ١٠٦ في الكوفة جمع أحاديث الفرائض والجراحات.
ابن سيرين ١١٠ هـ لازم أنس بن مالك وأبو هريرة، وجمع ما عندهم من أحاديث.
الحسن البصري ت ١١٠ هـ لازم عددًا من الصحابة وكتب عنهم.
معاوية بن قرة ت ١١٣ هـ تتلمذ على يد جابر بن عبد الله وابن عباس، وكتب عنهم وله صحيفة جمع فيها تفسير ابن عباس، وكان يقول: لا تعد من لم يكتب العلم علمًا.
مكحول الشامي ت ١١٦ هـ ألف كتاب في الفقه والحج
قتادة بن دعامة السدوسي ت١١٧ هـ لازم بن عباس وأنس بن مالك وجابر، وأخذ مما عندهم من الحديث.
نافع مولى ابن عمر ت ١١٧ هـ لازم بن عمر ملازمة شديدة، وكان يكتب عنه كل شيء؛ ولذلك لم يقع في روايته عنه خطأ، قال البخاري -رحمه الله-: أصح الأسانيد مالك عن نافع عن ابن عمر.
أبو إسحاق السبيعي ت ١٢٧ هـ كتب أحاديث الحارث الأعور وهو ثقة وغيرهم كثير.
المرحلة الثالثة: "١٢٠ - ١٥٠هـ " وهي مرحلة ترتيب وتدوين الأحاديث وجمع الشتات في ديوان واحد.
" بدأ الترتيب على شكل فقهي وأبواب ومباحث، فظهر التأليف في الحجاز واليمن والعراق، مصر والشام. وأشهر علماء هذه المرحلة هم

عبد الملك بن جريج "٨٠ـ ١٥٠" هـ، وكتبه تسمى كتب الأمانة من كثرة صحتها، وكتب كتابًا سماه "الجامع" "السنن"، قال عبد الرزاق: أول من صنف ابن جريج
سعيد بن أبي عروبة في البصرة "٨٠ـ ١٥٦" هـ، قال الإمام الذهبي: عالم أهل البصرة .أول من صنف السنن النبوية، ألف كتابًا في الطلاق
محمد بن أبي ذئب عالم أهل المدينة وإمامهم، ألف كتاب "الموطأ" على "موطأ" مالك، .ويسمى بالسنن ت ١٥٨ هـ
عبد الرحمن بن عمر الأوزاعي "٨٨ـ ١٥٦" هـ، وهو تلميذ الزهري فقيه الشام جمع .."الأحاديث في كتابه "السنن
معمر بن راشد فقيه اليمن وتلميذ الزهري "٩٥ـ ١٥٣"، ألف كتابه "الجامع" وضمنه .الصنعاني في آخر كتابه
شعبة بن الحجاج "٨٣ـ ١٦٠" في العراق، البصرة
سفيان الثوري "٩٧ـ ١٦١" في الكوفة جمع ٣٠ ألف حديث كان يحفظها، ألف كتاب .""الجامع الصغير" و"الجامع الكبير
."حماد بن سلمة "٩٠ـ ١٦٠" ألف كتابه "المصنف
الليث بن سعد "٩٤ـ ١٧٥ " بمصر، وهو إمام حجة كثير التصانيف أفقه من الإمام مالك
مالك بن أنس "٩٣ـ ١٧٩" بالمدينة، كتب "الموطأ" أصح كتاب بعد القرآن، ونزلت .درجته لما فيه من البلاغات، والأحاديث المقطوعة، ولا يروي الإمام إلا عن ثقة
.المرحلة الرابعة: "١٥٠ ـ ٢٠٠هـ" وما بعدها
بدأوا في الترتيب والتصنيف، وفي هذه المرحلة وجدت المادة العلمية جاهزة وكاملة، ووجد كوم من الأحاديث النبوية سواء كانت مكتوبة أو محفوظة في صدورهم، وهو بداية ظهور الموسوعات العلمية الحديثية، قال الإمام الذهبي: لما كثر التأليف أيام الرشيد ١٧٠ ـ ٢٠٣
وكثرة التصانيف ضمنوا كتبهم كتب الجيل السابق ـابن جريج، مالك، حماد ـفي موسوعات علمية ضخمة، وجمعوها فظهرت أنواع من الكتب والتصانيف، مثل كتب .الحاولات والموسعات
:أهم الكتب في هذه المرحلة
كتب المسانيد: وهي كتب أسندت أحاديث كل صحابي إليه، ثم اختلف في ترتيب * الصحابة، فمن المسانيد من بدأ بأفضلية الصحابة، فبدأ بأبي بكر ثم عمر، ثم عثمان ثم علي ـرضي الله عنهم... إلخ، ومنهم من رتبهم على حسب أفضلية القبائل، فجعل أحاديث قريش ثم ما حولها من القبائل.. وهكذا، ومنهم من رتبها على حروف المعجم، فبدأ بحرف: أ ـ ب، ت، ث، ج، ح، خ... إلخ، ومنهم من رتبها على حسب المدن، فمن كان :من أهل مكة ثم المدينة ثم الحجاز... ومثل ذلك
مسند الإمام أحمد بن حنبل"، "مسند الإمام الحميدي"، "مسند أبو عوانة"، "مسند " ."أبو يعلى الموصلي"، "مسند الطيالسي
المصنفات:
وهي كتب جمعت بين أحاديث النبي، وآثار الصحابة والتابعين وهي مرتبة على الأبواب الفقهية، وهم يريدون بذلك باب العبادات، ثم الأحكام ثم الأحوال الشخصية، ومن ثم القضاء.. وهي مصادر أصلية، ومن أشهر المصنفات.
المصنف" لأبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة "٢٣٥" هـ، "المصنف" لأبي بكر " .عبد الرزاق بن همام الصنعاني "٢١١ "هـ
كتب السنن: وهي كتب جمعت أحاديث النبي ـصلى الله عليه وسلم ـ فقط، وهي مرتبة على الأبواب الفقهية، مثاله
سنن أبي داود" ـ "سنن الترمذي" ـ "سنن النسائي" ـ "سنن ابن ماجة"، وهي " .مصادر أصلية
الموطآت، أو الممهدات: ك "موطأ" مالك، و"موطأ" ابن أبي ذئب، وهي مرتبة على الأبواب الفقهية مع آراء وفقه المؤلف
الجوامع: وهي كتب جمعت الأحاديث في أبواب مختلفة، فجمعت أحاديث في العقائد والأحكام والشمائل، والآداب وهذه الكتب رتبت على حروف عارف شامت ويعنون بها :حرف
ع العقائد والتوحيد
أ: أحكام
ر: رقائق وزهد
ف: فتن
ش: شمائل
أ: آداب
م: مناقب ومثالب
.ت: تفسير، ومثاله "صحيح الإمام البخاري والإمام مسلم
الصحاح: التي اشترطت إخراج الحديث الصحيح مثل "صحيح البخاري"، و"صحيح ."مسلم"، "صحيح ابن خزيمة"، "صحيح ابن حبان
مختلف الحديث: ويقصد بمختلف الحديث حديثان ظاهرهما التعارض والتصادم والتناقر وعدم الإتفاق مثاله: حديث: ((لا عدوى ولا طيرة))، وحديث: ((فر من المجذوم فرارك من الأسد))، وحديث: ((أفطر الحاجم والمحجوم))، وحديث: ((احتجم النبي ـصلى عليه وسلم ـ وهو صائم))، ولقد برز في هذا الفن الإمام الشافعي في كتابه "اختلاف ."الحديث
."وهناك كتاب آخر لابن قتيبة هو "تأويل مختلف الحديث
مشكل الحديث: المشكل حديث قائم بذاته، مصطدم مع العقل عند كثير من الفلاسفة والماتريدية، مثل أحاديث العقائد كقوله: ((إن الله يضع رجله في النار)) وكقوله: ((ينزل ربنا في الثلث الأخير من الليل))، والسلف مذهبهم إقرار وإمرار يقرونه على ظاهره، .ويمرونه على ما جاء
:وأهم الكتب التي تناولت هذا الموضوع
كتاب "مشكل الآثار لابن فورك"، ولقد رد عليه الإمام ابن خزيمة في كتابه "التوحيد"، ."وكتاب "مشكل الآثار للطحاوي
الناسخ والمنسوخ: وهي كتب تهتم بالأحاديث الناسخة والأحاديث المنسوخة، وهو من .أهم الفنون؛ لأن عليها تبني الأحكام

:وأهم الكتب في هذا الفن
كتاب "الناسخ والمنسوخ" للإمام أحمد
.تجريد الأحاديث المنسوخة" لابن الجوزي"
وكتاب "الاعتبار في الناسخ والمنسوخ من الآثار" لأبي بكر الحازمي
السنن: وهي الكتب التي تحث على التمسك بالسنة والاعتصام بالكتاب، وهدي محمد ـ :صلى الله عليه وسلم ـ، ومجانبة أهل البدع والأهواء مثاله
كتاب "السنة" لابن أبي عاصم، وكتاب "السنة" لعبد ـ ابن الإمام أحمد
المراسيل: وهي كتب جمعت الأحاديث المرفوعة من التابعين إلى رسول الله مثل: كتاب ."المراسيل" لأبي داود وكتاب "المراسيل" لابن أبي حاتم
.وجامع التحصيل لأحكام المراسيل" للعلائي"
الزهد والرقائق: وهي كتب تذكر الآخرة والجنة والنارو غيرها مما يرقق القلوب مثل: كتاب "الزهد" لهناد و"الزهد" لوكيع و"الزهد" لابن المبارك و"الزهد" للإمام أحمد
الشمائل: وهي كتب تهتم بالأحاديث التي تتكلم عن أخلاق النبي ـصلى الله عليه وسلم ـ، .وخلقه، مثل كتاب "الشمائل" للترمذي
علم الإسناد وأسماء الرجال: ومن كتب "التاريخ الكبير" للبخاري وكتاب "الجرح .والتعديل" للرازي
.الثقات: ومن كتب "الثقات" لابن حبان، و"الثقات" لابن شاهين
الضعفاء: ومن كتب "الضعفاء" للبخاري، وكتاب "الضعفاء" للنسائي، و"الكامل في .الضعفاء" لابن عدي، والمجروحين لابن حبان
أسماء الصحابة وأنسابهم وقبائلهم وتاريخهم: ومن كتب "الصحابة" لأبي نعيم، و"الاستيعاب" لابن عبد البر
فضائل الصحابة: ومن كتب "فضائل الصحابة" للإمام أحمد، وكتاب "فضائل الصحابة" .للإمام البغوي
تراجم أهل كل بلد: ككتاب "تاريخ بغداد" للخطيب البغدادي، وقد ترجم فيه ل..١٠ آلاف شخص ممن نزل بغداد، وكتاب "تاريخ دمشق" لابن عساكر
العلل: وهي كتب تجمع الأحاديث التي تحتوي على خلل غامض مع أن الظاهر السلامة :منها مثل
.كتاب "العلل الكبير" للترمذي، وهو عباره عن سؤالات للبخاري ـسؤال الطالب لشيخه
كتاب "علل الحديث" لأبي حاتم الرازي، وهو عباره عن سؤال الولد لوالده أبي زرعة
وكتاب "العلل" للإمام الدارقطني
.الأحاديث الضعيفه والموضوعه: ومن كتب "الأباطيل" للجوزقاني
مصطلح الحديث: ككتاب "معرفة الحديث" للإمام * ـ انتهى كلام الشيخ الطواري ـ
."الحاكم، وكتاب "الكفايه" للخطيب البغدادي و"مقدمة ابن الصلاح

وقال بعض العلماء:
" يمكننا أن نقرر أن هذا العلم قد مر بمراحل ثلاث حتى انتهى إلى ما نحن عليه الآن، :وهذه المراحل نجملها فيما يلي
المرحلة الأولى: وهي مرحلة التأسيس والتمهيد وظهوره، وتتمثل في ظهور المؤلفات المعتبرة عند المحدثين وتنوعها، وهذه المرحلة قد مرت بأطوار ثلاث
.الأول: صحائف الصحابة وكتابتهم
الثاني: مؤلفات التابعين حتى ظهور التصنيف المنهجي في السنة، وينتهي بنهاية الربع .الأول من القرن الثاني للهجرة؛ نتيجة للأمر بتدوين السنة
الطور الثالث: المؤلفات في السنة، وتبدأ بنهاية الربع الأول من القرن الثاني للهجرة حتى أوائل الربع الأخير من القرن الثالث الهجري؛ حيث ازدهار المؤلفات الحديثية وكثرة تنوعها
المرحلة الثانية: نشأة هذا العلم بطريقة أولية: وتبدأ في أوائل الربع الأخير من القرن . الثالث الهجري حتى أوائل القرن الرابع الهجري؛ حيث اكتمال تدوين السنة وبداية مرحلة .التهذيب والجمع والتقريب والاستدراك وغيرها
المرحلة الثالثة: ظهور علم التخريج كفن مستقل له قواعده ومناهجه، وتبدأ في أواخر القرن الرابع الهجري بعد تطور هذا العلم واكتمال وسائله حتى يومنا هذا.
فالمرحلة الأولى: تُعرف بمرحلة التأسيس والتمهيد وأطوارها ومقدمات كل منها: وهذه . المرحلة بأطوارها الثلاثة ـالتي تقدمت ـ تمثل التأسيس والتمهيد لظهور هذا العلم، ومن .الطبيعي أن تتفاوت حصيلة المؤلفات فيها وفق ملابسات كل منها.
الطور الأول له مقدمات؛ منها: مجتمع النبوة من الصحابة ومسلكهم في المحافظة على :السنة
أما مجتمع النبوة من الصحابة ـرضوان الله عليهم ـ فهم الروافد الأصلية النبع الصافي لهذا التراث الجليل؛ حيث كانوا على ثقة وثيقة بنبينا ـصلى الله عليه وسلم ـ يتتبعون أحواله ويحفظون أقواله ويراقبون أفعاله، وساعدهم على استيعاب ذلك التراث تلك الحوافظ القوية والعقول الواعية والأذهان الصافية، هذه التي زكتها تعاليم الإسلام وصقلتها صحبة الرسول ـعليه الصلاة والسلام ـ والتي كانت في أغلب أحوالها أمرًا مشتركًا بينهم سواء منهم من عرف الكتابة أو لم يعرف؛ لذلك وغيره مما أسلفنا كانت كتاباتهم في السنة قليلة إذا ما قورنت بمؤلفات من تبعهم حتى بداية عصر التأليف المنهجي فيها، ثم ما بعد التابعين من أتباع التابعين في ظروف وأسباب لم تكن في عهدهم .ـرضوان الله عليهم.
ويتضح لنا من البحث والدقيق والمتأني أن الصحابة سلكوا في المحافظة على السنة مسلكين متوازيين، كل بقدر ما هو ميسر له؛ بحيث يؤديهم ذلك إلى غاية الغايات: وهي حفظ الأصل الثاني للتشريع الإسلامي، ذلك الذي يحوي بين دفتيه تبيان كل ما يمس شئون .المسلم في حياته وفي آخرته"

المصادر والمراجع :

١ـ الشيخ الطواري ـمذكرة في التخريج دار الفكر بدمشق سنة ١٣٨٣ه
٢ـ علي نايف الشحود المفصل في أصول التخريج ـ دار النشر : دار ابن حزم - لبنان / بيروت - ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠م الطبعة : الأولى